المستشرقون ومصادر القـــرآن الكريم، تيودور نولدكه أنموذجاً

د.أبوبكر يونس علي الخيالي*
عضو هيئة تدريس بالأكاديمية الليبية للدراسات العليا فرع المنطقة الجنوبية
Aboubakarali175@gmail.com
تاريخ الارسال 2025/10/20م تاريخ لقبول 2026/1/15م

Orientalists and the Sources of the Holy Qur'an: Theodor Nöldeke as an Example

Dr. Abubakar Younis Ali Al-Khayali*
Faculty Member, Libyan Academy for Higher Studies, Southern Region Branch
Aboubakarali175@gmail.com

This paper serves as a vital gateway to understanding the Qur'an, contributing significantly to the exploration of its sources and the diverse interpretive methods employed in its exegesis. It emphasizes the importance of deeply engaging with the Qur'anic text and how recognizing its interpretive sources can enhance and deepen comprehension.

The study also sheds light on the role of Orientalists and examines various scholarly works that discuss the Qur'an and its origins. Through two main sections, it explores the views of one of the most prominent Orientalist scholars, Theodor Nöldeke, aiming to enrich the reader's understanding of the Qur'anic text and bring them closer to its profound spiritual and ethical messages.

The paper underscores the need to consult a wide range of references to interpret the Qur'anic verses. This process goes beyond mere information gathering—it becomes a transformative experience with each reading, liberating the heart and mind from confusion and ignorance. It also equips readers to respond to the doubts raised by Orientalists regarding the sources of the Qur'an, by analyzing the perspectives presented by Muslim scholars.

A deep understanding of the Qur'an is essential for every Muslim seeking a connection with God and reflection on the world around them, supported by diverse contemporary resources that offer clarity and insight into this unique and sacred text.

Keywords: Qur'an, Orientalists, Sources.

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

الملخّـــــــص :

تُعدَ هذه الدراسة بوابة مهمة لفهم القرآن الكريم، إذ تُسهم في التعرف على مصادره والأساليب المتنوعة المستخدمة في تفسيره. وتُبرز أهمية التعمق في فهم النص القرآني، وكيف يمكن للمصادر المختلفة أن تساعد في تحليل محتواه واستيعابه بشكل أوسع وأدق. كما تسلط الضوء على جهود المستشرقين، وتستعرض الجوانب المتعددة في الكتب التي تناولت القرآن الكريم ومصادره. وتتناول الورقة في مبحثين آراء أحد أبرز المستشرقين، وهو تيودور نولدكه، بهدف تعميق الفهم للنص القرآني، وتمكين القارئ من الاقتراب من معانيه الروحية والأخلاقية العميقة. وتؤكد الورقة على ضرورة الرجوع إلى مراجع متنوعة لفهم الآيات الكريمة، فهذه العملية لا تقتصر على جمع المعلومات، بل تتجاوز ذلك إلى تجربة شعورية تتجدد مع كل قراءة، وتفاعل يحرر القلب والعقل من الارتباك والجهل. كما تتيح لنا الرد على الشبهات التي يثيرها المستشرقون حول مصادر القرآن الكريم، من خلال تحليل ما أورده العلماء المسلمون من آراء ومواقف.

إن الفهم العميق للقرآن الكريم يمثل مفتاحاً لكل مسلم يسعى للتواصل مع الله، والتأمل في العالم من حوله، مستعيناً بالمصادر المعاصرة المتنوعة لفهم هذا النص العظيم بدقة ووعي.

الكلمات المفتاحيـــــة: القرآن، المستشرقون، المصادر.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، وجعله هادياً للناس، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

تُعد قضية الوحي ومصادره من أعظم القضايا التي شغلت الفكر الإنساني عبر العصور، ويأتي القرآن الكريم في صدارة هذه القضايا بوصفه المصدر الأساسي للتشريع الإسلامي، والركيزة الكبرى في بناء الحضارة الإسلامية. وقد حظي هذا الكتاب العظيم باهتمام بالغ من المسلمين حفظاً وتفسيراً، كما كان محط أنظار الباحثين غير المسلمين، ولا سيما المستشرقين الذين سعوا إلى دراسته من زوايا متعددة، بعضها علمي، وبعضها الآخر مشوب بأهداف أيديولوجية.

وفي هذا السياق يبرز اسم المستشرق الألماني تيودور نولدكه، الذي يُعد من أوائل من تناولوا موضوع مصادر القرآن الكريم، من خلال كتابه الشهير تأريخ القرآن، الذي

أثار جدلاً واسعاً في الأوساط العلمية الإسلامية والغربية على حد سواء، لما تضمنه من رؤى وأطروحات حول مصدرية النص القرآني.

إشكالية الدراسة:

تتمثل الإشكالية الرئيسة لهذا البحث في التساؤلات التالية:

1 - إلى أي مدى تعكس أطروحات تيودور نولدكه حول مصادر القرآن الكريم منهجاً علمياً موضوعياً؟

2 - ما مدى توافقها أو تعارضها مع الرؤية الإسلامية؟

3 - ما هي الخلفية الفكرية التي شكّلت رؤية نولدكه للقرآن الكريم؟

4 - كيف تعامل نولدكه مع مصدرية النص وترتيب السور القرآنية؟

5 - وما مدى تأثير أطروحاته على الدراسات الاستشراقية اللاحقة؟

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث، الذي يسعى إلى تسليط الضوء على موقف المستشرقين من مصادر القرآن الكريم، من خلال دراسة نموذج نولدكه، وتحليل منهجه، ومناقشة أطروحاته. ولا يهدف البحث إلى الرد فقط، بل يسعى إلى فهم أعمق لطبيعة الفكر الاستشراقي ومناهجه في التعامل مع النص القرآني، بما يسهم في بناء خطاب علمي رصين قادر على الدفاع عن الثوابت الإسلامية ومواجهة التحديات الفكرية المعاصرة.

منهجية البحث :

يعتمد البحث على المنهج التحليلي النقدي، من خلال تحليل النصوص التي تناولت الفكر الاستشراقي وموقفه من القرآن الكريم، ودراسة منهج نولدكه في كتابه تأريخ القرآن، إلى جانب المقارنة بين الرؤية الاستشراقية والرؤية الإسلامية حول مصدرية القرآن الكريم، وتوظيف المنهج التاريخي في تتبع تطور الفكر الاستشراقي تجاه النص القرآنـــي.

الدّراسات السابقة:

استند هذا البحث إلى مجموعة من الدراسات التي تناولت الفكر الاستشراقي، وموقفه من القرآن الكريم، ومن أبرزها

مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن الكريم للدكتور حسن عزوز، والذي يناقش مناهج الاستشراق في تحليل النص القرآني ، وكذلك كتاب المنهج الاستشراقي في دراسة القرآن الكريم وترجمة معانيه للدكتور على نملة، ويقدّم نقدًا منهجيًا لأبرز أطروحات المستشرقين ، وشبهات المستشرقين حول مصدرية القرآن الكريم، وأثر

الإعجاز القرآني عليها، هو بحث يعرض أبرز الشبهات المثارة حول مصدرية النص القرآني ، وكتاب مصادر القرآن الكريم عند المستشرقين للدكتور صدر الدين كومش، ويُعد مرجعًا مهمًا في تحليل الرؤى الغربية حول القرآن الكريم.

خطة البحث :

أما من حيث الهيكلة، فقد قُسّم البحث إلى مقدمة، ومبحثين رئيسين تليهما خاتمة تتضمن أبرز النتائج والتوصيات. ففي المبحث الأول: الفكر الاستشراقي وموقفه من مصادر القرآن الكريم، ويتضمن ثلاثة مطالب الأول: تعريف الاستشراق ونشأته، المطلب الثاني: تصورات المستشرقين حول مصادر القرآن الكريم، المطلب الثالث: الردود الإسلامية على الفكر الاستشراقي .المبحث الثاني: تيودر نولدكه نموذجاً، ويشمل ثلاثة مطالب، المطلب الأول: سيرته الفكرية وأبرز أعماله، المطلب الثاني: منهجه في كتابه تاريخ القرآن، المطلب الثالث دراسة نقدية لأطرحته، ثم الخاتمة.

تمهيد :

شهدت الدراسات الاستشراقية في القرون الأخيرة اهتمامًا متزايدًا بالنصوص الإسلامية، وعلى رأسها القرآن الكريم، وذلك في إطار الحركة الاستشراقية التي نشأت في سياقات سياسية وعلمية ودينية متعددة. وقد سعى المستشرقون بكل إمكاناتهم لدراسة أصول النص القرآني، وطرح التساؤلات حول مصدره ومراحل جمعه وتدوينه، مستندين في كثير من الأحيان إلى تصورات مسبقة أو مناهج مغايرة للرؤية الإسلامية. ويهدف هذا المبحث إلى كشف طبيعة الفكر الاستشراقي، واستعراض أهم أطروحاته حول مصادر القرآن الكريم، مع بيان موقف الفكر الإسلامي من تلك الأطروحات.

المبحث الأول ــ الفكر الاستشراقي وموقفه من مصادر القرآن الكريم

أولًا ـ أطروحات المستشرقين حول مصادر القرآن الكريم

جولد تسيهر : المستشرق المجري (جولد زهير) الذي يرى أن أفكار النبي صلى الله عليه وسلم استقاها من مصادر عدة :" إن الرسول خلال النصف الأول من حياته اضطرته مشاغله إلى الاتصال بأوساط استقى منها أفكاراً أخذ بجترها في قرارة نفسه وهو متطوف في تأملاته اثنا عزلته) 1

جـــــورج سيل : يضيف المستشرق جورج سيل في مقدمة ترجمته الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم التي نقلها عنه الدكتور اللبان ما نصه (أما ان محمداً كان فب الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له فأمر لا يقبل الجدل.) 2

…that Mohammed was the author of the Koran, and the chief contriver of it, is beyond dispute…"3

بلاشير : يرى المستشرق الفرنسي بلاشير أن التشابه بين القصص القرآني والقصص اليهودي يدل على بشرية القرآن، ويعزو ذلك إلى علاقة النبي بالفقراء المسيحيين في مكة، كما ورد في كتابه مشكلة محمد

LE PROBLEME DE MAHOMET

LE Fondateur de L'islamisme, plus encore, qu'au début de son apostolat a-t, il effectivement entretenu des relations plus suivies, plus étroites avec les pauvres chrétiens de la Mekke ?

Une riposte Coranique a une attaque polythéiste incite à le penser.

كليمان تسدال : ذهب المستشرق الفرنسي كليمان تسدال إلى أن المصدر الرئيسي للقرآن الكريم هو الشعر العربي، وخاصة شعر أمية بن الصلت، للتشابه الكبير بينهما في وصف الأخوة وقصص الأنبياء العرب القدماء قائلاً (إن المسلمين قد محو شعر أمية بن أبي الصلت، وحرموا إنشاده ليستأثر القرآن بالجدة، وليصبح النبي هو المنفرد بالوحي)5 ، كما أورد أبياتًا من شعر امرئ القيس تحتوي على تعبيرات مشابهة للقرآن الكريم.

دنت الساعة واشنق القمر — عن غزال صاد قلبي ونفر
أحور قد حرت في أوصافه — ناعس الطرف بعينيه حور فاتك
بسهام من لحاظ — تركني كهشيم ال محتظر6

سيدرسكي: وفي هذا الصدد ألفَ المستشرق (سيدرسكي) كتاباً أطبق عليه اسم (أصول الأساطير الإسلامية في القرآن الكريم وفي سير الأنبياء) .

Les Origines des légendes musulmanes dans le Coran et dans les vies des Prophètes

(إن القرآن استقى قصصه من الأساطير اليهودية والمسيحية) 7

هذا ما نقله عن المستشرق نجيب عقيقه في كتابه المستشرقون، حيث أكد أن كل القصص التي ورد في القرآن الكريم هي منقولة من التوراة، الإنجيل.

ثانيًا ـ تصنيف مصادر القرآن عند المستشرقين:

استنادًا إلى ما أورده الدكتور ساسي الحاج، يمكن تقسيم مصادر القرآن الكريم عند المستشرقين إلى قسمين

مصدر داخلي : مستمد من أعراف الجاهلية ودياناتهم، ومن أوامر أولي الأمر، وأحكام ذوي الرأي والمكانة

مصدر خارجي: مستمد من تعاليم الديانتين اليهودية والمسيحية" 8.

ثالثًا ـ الـــرد العلماء المسلمين على هذه المزاعم، وتفنيدها:

لكي نردّ على هذا الزعم فيجب أن نعقد مقابلة بين مصادر الفقه الجاهلي، وبعض تعاليم الدّين الإسلامي لنرى مدى التطابق، والأخلاق بحيث نحكم على دعاوي ومزاعم المستشرقين، ولكننا لا نتردد في القول بأن الإسلام قد استقى العديد من أعراف الجاهلية، وتنظيماتها الصالحة، وأقرها، كما في الحديث الشريف الذي رواه أبوه هريرة رضي الله عنه قال – قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم - " **إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْـلَاقِ**" 9

إن هذا الحكم لا يدل على بشرية القرآن الكريم كما يزعم بعض المستشرقين فالقضية أبعد من ذلك، وأشد تعقيداً.

في هذا المبحث لا نستطيع التعرض إلى الأحكام التي قررتها هذه المصادر التي ذكرناها آنفاً، ثم مقابلتها بالأحكام الإسلامية لاستنتاج التطابق، والاختلاف بينها ؛ لأنه موضوع طويل يخرج من مقصدنا في هذا البحث، وهو مصادر القرآن الكريم؛ ولكن سنريد بعض النماذج لنرى مدى تأثر الشريعة الإسلامية ببعض هذه الأحكام، ولنأخذ على سبيل المثال بعض الأحكام العبدية، وبعض المعاملات بالأحوال الشخصية.

الإقرار ببعض أعراف الجاهلية: لا ينكر المسلمون وجود بعض الأحكام الجاهلية في التشريع الإسلامي، طالما كانت صالحة ومتوافقة مع مقاصد الشريعة. فقد قال النبي ﷺ أمثلة من التشريعات الجاهلية التي أقرها الإسلام

أ- الطـــواف في الحـــــج : كان الطواف حول الكعبة معروفًا في الجاهلية، وكان بعضهم يطوف عراة، وقد أقر الإسلام الطواف بسبعة أشواط ومنع الطواف عاريًا، وأوجب الإحرام، يقول الإمام الطبري رضي الله عنه: " وكان الطائفون على صنفين : صنف بطوف عريان صنف يطوف في ثيابه ، ويعرف من يطوف بالبيت عريان (بالحلة) أما الذين يطوفون بثيابهم فيعرفون (بالحمس)10 ، **و**عندما جاء الإسلام أقـرّ الطـــواف حول الكعبة بسبعة أشواط ومنع طواف العري وحتم على الجميع لبس الإحرام

ب ـ التلبية في الحـ ج : كانت القبائل تلبي عند أداء المناسك، ولكل قبيلة تلبية خاصة. وقد نظم الإسلام التلبية وجعلها موحدة ، يقول اليعقوبي: "أن العرب إذا أرادت حج البيت الحرام، وقفت كل قبيلة عند صنمها، فصلوا عنده ثم لبوا حتى تقدموا مكة فكانت تلبياتهم مختلفة، وكانت تلبية قريش: لبيك اللهم، لبيك لا شريك لك، تملكه، وما ملك، وكانت تلبية كنانة: لبيك اللهم لبيك اليوم التعريف، ويوم الدعاء والوقوف" 11

ج نظـــــام الإرث : أورد الدكتور جواد علي أن عامر بن جشم الجاهلي جعل للبنات نصيبًا في الإرث :(إن أول من جعل للبنات نصيباً في الإرث من الجاهليين هو ذو المحاسد عامر بن جشم بنغنم بن حبيب بن كعب بن شكر، ورثَ ماله لولده في الجاهلية فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين فوافق حكمه حكم الإسلام)12 ، وهو ما وافق حكم الإسلام لاحقًا.

إن هذه بعض الأمثلة وجدت في الجاهلية، فأقر الدين الإسلامي، بعضها، وألغى الأخر.

من هذا الإقرار استند بعض المستشرقين إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد استقى معلوماته، وأخباره، وأحكامه المتمثلة في أوامره ونواهيه من هذه القوانين العرفية التي وجدها في بيئته فتأثر بها وضمها إلى كتابه الذي ألفه (القرآن)، وكذلك في سانته وأحاديثه التي أذاعها على أصحابه، وأصبحت المصدر الثاني في التشريع الإسلامي. أي مسلم لا ينكر وجود هذه الأحكام، والقوانين الناتجة عن أعراف الجاهلية في التشريع الإسلامي، ولا يضير نبي محمد صلى الله عليه وسلم الإبقاء على هذه القوانين الصالحة، طالما كانت هذه الأحكام تتناسب، ومقاصد الشريعة الإسلامية.

إنّ الدين الإسلامـــي احتفظ بالعديد من أعراف الجاهلية، وتشريعاتهم لأنها صالحة للتطبيق، وليست محل انتقاد، فالإسلام قد هدب الزواج فأبقى على النظام الصحيح الذي ينسجم والفطرة البشرية، وألغى الفاسد الذي يؤدي إلى اختلاط الأنساب، ونظم الإسلام التشريعات.

من هنا لا يمكننا التسليم لما ذهب إليه بعض المستشرقـــين من أن هذه القوانين العرفية أنها تشكل مصدر من مصادر القرآن الكريم الذي قال - تعالى – عنه ﴿ **ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾ البقرة: 2 13

إن كل ما أورده المستشرقـــون من حجج في هذا الصدد لا تصمـــد أمام النقد العلمي الجاد الذي قام به علماء الإسلام دفاعاً عن كتاب الله – تعالـــى- ، فوجود بعض التشريعات الجاهلية في الإسلام لا يعني أن القرآن الكريم مستمداً منها؛ بل يدل على أن الإســـلام أقرّ الصالح منها وهذّب الفاسد، ومن هنا، لا يمكن التسليم لما ذهب إليه بعض المستشرقين من أن هذه القوانين العرفية تشكل مصدرًا للقرآن الكريم، الذي قال الله تعالى عنه:

المطلب الأول ـ تعريف الاستـــشراق :

يعد الاستشراق من أبرز الظواهر الفكرية التي أثارت جدلاً واسعًا في الأوساط العلمية والثقافية، نظرًا لتعدد اتجاهاته وتنوع أهدافه وتباين مواقف أصحابه من

الحضارة الإسلامية. وقد ارتبط هذا المصطلح منذ نشأته بالدراسات الغربية التي تناولت الشرق من جوانب متعددة : لغوية، دينية، تاريخية، حضارية، وسياسية. ويهدف هذا المطلب إلى بيان مفهوم الاستشراق، وتحديد نشأته التاريخية، واستعراض دوافعه وأهدافه، والوسائل التي اعتمدها المستشرقون في دراسة الشرق، تمهيدًا لفهم أعمق لطبيعة الفكر الاستشراقي وموقفه من الإسلام

أولًا ـ تعريف الاستشراق: يُلاحظ أن تحديد مفهوم "الشرق" ينعكس مباشرة على تعريف "المستشرق"، مما أدى إلى اختلاف الباحثين في تحديد من هو المستشرق. فبعضهم يرى " المستشرقون هم الذين يقومون بالدراسات الاستشرافية غير المستشرقين، ومقدمو دراساتهم ونصائحهم ووصاياهم)14 ، فالمستشرق هو من يقدّم دراسات ونصائح حول الشرق دون أن يكون متخصصًا فيه، بينما يرى الفيلسوف إدوارد سعيد أن (الاستشراق لفظ أكاديمي صرف، والمستشرق هو كل من يدرس أو يكتب عن الشرق أو يبحث فيه، وكل ما يعلمه هذا المستشرق ويسعى إليه)15 ، وقد ورد في قاموس المورد للبعلبكي أن: (المستشرق هو الدارس للغات الشرق وفنونه وحضارته)16 ، ويضيف الأستاذ عبد الوهاب حمودة قائلاً: " المستشرق كل من تجرد من أهل الغرب إلى دراسة بعض اللغات الشرقية كالفارسية والتركية والهندية من حيث أخلاقها وعاداتها وتاريخها وعلومها وآدابها" 17

من خلال هذه التعريفات، يتضح أن إنتاج المستشرقين هو الذي يحدد طبيعة الاستشراق، فهم أناس درسوا الحضارة الشرقية، وتفاوتت مواقفهم بين التعصب والتسامح، وبين الموضوعية والانحياز، فمنهم من قدم خدمات جليلة للإسلام، ومنهم من قادته أهواؤه إلى استنتاجات خاطئة.

ثانيًا ـ نشأة الاستشراق: لا يوجد اتفاق قاطع حول البداية الحقيقية والمنظمة للاستشراق، فبعض الباحثين يرى أنه بدأ بمحاولات فردية، بينما يرى الأستاذ علي النملة في كتابه الاستشراق في الأدبيات العربية" إن احتكاك النصارى بالمسلمين في الأندلس هو الانطلاقة الحقيقية لمعرفة النصارى بالمسلمين، والاهتمام بالعلوم الإسلامية)18، ويميل إلى هذا الرأي الدكتور مصطفى السباعي، مع التأكيد أن هذه البدايات لا تمثل الاستشراق المنظم الذي ينتج آلاف الكتب سنويًا ويعقد المؤتمرات العلمية ، كما يضيف الأستاذ علي النملة (من قبيل الإرهاص وما أتى بعدها من قبيل تعميق الفكرة والتوسع فيها وشد الانتباه إليها)19 ، وأما المستشرق رودي بارت، فيرى أن الدراسات الإسلامية والعربية في أوروبا بدأت في القرن الثاني عشر حيث "تمت لأول مرة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، وظهر أول قاموس

لاتيني-عربي)20، ويذهب سمايلوفتش في كتابه فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر إلى أن الاستشراق الحقيقي بدأ بعد نهضة أوروبا الصناعية والعلمية، وظهور الجامعات ومراكز البحوث منذ القرن السادس، حيث نشطت الطباعة العربية وبدأت الدوائر العلمية تصدر الكتب تباعًا) 21

ثالثًا ـ دوافع الاستشراق وأهدافه : يثار التساؤل حول ما يدفع الباحث الغربي إلى بذل الجهد والمال والعمر في دراسة عالم غريب عنه. ويجيب الأستاذ نجيب العقيقي بأن " لو انصرف أحدهم إلى جمع الطوابع أو كتابة القصص البوليسية، لعاد عليه ذلك برخاء من العيش وهرة بين الناس وسلامة من النقاد) 22. وأما إدوارد سعيد، فيرى أن الدافع ديني صرف، حيث يقول الهدف الديني كان وراء نشأة الاستشراق)23. ، ويؤكد ذلك المستشرق الألماني رودي بارت، الذي يرى أن الهدف الرئيس من جهود المستشرقين في بدايات الاستشراق هو التبشير، ويعرفه بأنه. (إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام، وجذبهم إلى النبي المسيحي)24 ، كما توجد دوافع أخرى جانبية، مثل الدوافع الاستعمارية، والدوافع الشخصية كحب الترحال والاطلاع على ثقافات الأمم.

رابعًا ـ وسائل الاستشراق: اعتمد المستشرقون على عدة وسائل لنشر أفكارهم وتحقيق أهدافهم، من أبرزها تأليف الكتب: في موضوعات متعددة عن الإسلام والمسلمين، ومن أبرزها تأريخ القرآن الكريم، حيث يقول نجيب العقيقي :" لقد عني المستشرقون بتأريخ القرآن، وكانت عنايتهم مطردة منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين)25 ، إصدار المجلات العلمية :مثل صحيفة العلماء (La Journal des Savants) التي تصدر عن جمعية العلماء الفرنسيين في باريس، وتخصص العرب والإسلام بدراسات رصينة) 26. ، وعقد المؤتمرات وإلقاء المحاضرات :في الجامعات والجمعيات العلمية، وقد شهدت بعض الجامعات العربية فترات كان المستشرقون فيها من أبرز المدرسين ،و إنشاء الموسوعات الإسلامية : مثل دائرة المعارف الإسلامية التي أُصدرت بعدة لغات .

من خلال هذا العرض، يتبين أن الاستشراق ظاهرة فكرية متعددة الأبعاد، نشأت في سياقات دينية وسياسية وعلمية، وتنوعت دوافعها ووسائلها. وقد ساهمت هذه الدراسات في تشكيل صورة الغرب عن الشرق، مما يستدعي دراسة موضوعية متأنية لفهم خلفياتها وآثارها، وهو ما يمهد للغوص في موضوع البحث المتعلق بموقف الفكر الاستشراقي من مصادر القرآن الكريم.

المطلب الثانـــي ــ تصورات المستشرقين حول القرآن الكريم :

يعدّ القرآن الكريم محورًا أساسيًا في الدراسات الإسلامية، وقد شكّل موضوعًا بالغ الأهمية في كتابات المستشرقين الذين سعوا لفهمه وتحليله من منطلقات لغوية وتاريخية وثقافية، ومن بين أبرز الإشكاليات التي أثارها المستشرقون هي أصل كلمة "قرآن"، حيث حاول بعضهم ربطها بجذور لغوية غير عربية، مما أثار جدلًا واسعًا بين العلماء المسلمين الذين تصدّوا لهذه الطروحات بالتحليل والنقد.

أصل كلمة "قرآن" في تصوّرات المستشرقين ، أولى الإشكاليات التي تناولها المستشرقون حول كتاب الله تعالى كانت أصل كلمة "قرآن"، والتي وردت في المصحف الشريف نحو سبعين مرة، متضمنة معاني متعددة، يقول المستشرق بلاشير في كتابه القرآن :" إن أصل الكلمة قد يكون سريانيًا، ويستند إلى أن بعض المقاطع القرآنية استخدمت "قرآن" بمعنى التلاوة، وهو ما يشبه لفظًا سريانيًا يحمل المعنى ذاته)27 ، ويردّ الدكتور صبحي صالح على هذا الطرح في كتابه :-مباحث في علوم القرآن – " مهما يكن من شيء، فإن تداول العرب قبل الإسلام للفظ قرأ الأرض الأصل بمعنى: تلا كان كافياً لتعريبه واستعمال الإسلام له تسميته كتابه الكريم)28، ويُستشهد بما ورد في لسان العرب من استخدامات جاهلية للفظ "قرأ" بمعانٍ غير التلاوة، مثل قولهم: "هذه الناقة تقرأ سلاً قط"، أي لم تحمل ولم تلد، ومنه قول عمرو بن كلثوم. (هجان اللون لم تقرأ جنيناً 29

آراء العلماء المســـلمين :

الإمام السيوطي في كتابه "الإتقان" يرى "أن تسمية القرآن جاءت ؛ لأنه جمع ثمرات الكتب السماوية السابقة " 30 ، والإمام الشافعي يؤكّد أن القرآن كله بلسان العرب، ولا توجد فيه ألفاظ أعجمية، فقال :" منهم إن في القرآن عربياً وأعجمياً، والقرآن يدل على أنه ليس في كتاب الله شيء إلا بلسان العرب" 31 ، وردت عبارة "هذا القرآن" في عدة مواضع، منها قوله - تعالى - في ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)** يوسف 3 ، ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**) فصلت: 26 ، ويؤكد الدكتور عبد الحميد أبو ليلة أن هذه العبارة لا تشير إلا إلى كلام الله المنزل على النبي محمد ﷺ: "ينبغي أن يمون واضحاً تمام الوضوح أن عبارة هذا القرآن التي تعلق بها المستشرقون لم يستعملها القرآن إلا في الإشارة إلى كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) 34

تفسير العلماء لعبارة "هذا القرآن" الإمام القرطبي يقول: "كأن سائلًا سأله عن الوحي فقيل له: هو هذا القرآن)35 ، والإمام أبو عبيدة يعلل التسمية بأن القرآن جمع

السور بعضها إلى بعض، أو لأنه جمع بين دفتيه أصناف العلوم كلها، مستدلًا بقوله تعالى: فيقول :" سمي القرآن بهذا اللفظ إما لأنه جمع السور بعضها إلى بعض، وإما لأن القرآن جمع معاً بين دفتيه أصناف العلوم كلها كما قال المولى - عزَ وجلَ- ، كتابه العزيز" 36 ﴿ **مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** ﴾الأنعام: 38

اهتمام المستشرقين بالقرآن

نُشرت في دائرة المعارف الإسلامية باللغة الإنجليزية مادة بعنوان "القرآن"، امتدت على اثنين وثلاثين صفحة، مما يدل على اهتمام بالغ من قبل المستشرقين بهذا الموضوع، سواء من ناحية لغوية أو تاريخية أو دينية.

المطلب الثالث ـ ردود الإسلامي على الفكر الاستشراقي

برز الفكر الاستشراقي كمنهج بحثي غربي يسعى إلى دراسة الإسلام وثقافته وتاريخه من منظور خارجي، غالبًا ما اتسم بالتحيّز أو سوء الفهم. وقد أثار هذا الفكر موجة من الردود الإسلامية التي تنوعت بين النقد العلمي، والتفنيد المنهجي، والدفاع الحضاري، في محاولة لتصحيح الصورة المغلوطة التي رسمها بعض المستشرقين عن الإسلام والمسلمين.

أول الردود: قضية شعر أمية بن أبي الصلت

من أبرز القضايا التي أثارها المستشرقون زعمهم بأن شعر أمية بن أبي الصلت كان مصدرًا من مصادر القرآن الكريم. وقد تصدى لهذا الادعاء عدد من الباحثين المسلمين، مؤكدين أنه لا يستند إلى أساس علمي صحيح.

الفرضيات الثلاث المطروحة:

تأثر أمية بالقرآن الكريم : يرد الدكتور ساسي الحاج بأن تحديد زمن شعر أمية بدقة ضروري، ويشير إلى أن ‘وفاته كانت في السنة التاسعة للهجرة، مما يحد من إمكانية تأثره بالقرآن (إن الأمر يقتضي معرفة تواريخ شعر أمية ، وتعيين أوقات نظمه ، حصر المدة الزمنية التي قال فيها شعره بحيث لا تتعدى السنة التاسعة للهجرة لوفاته خلالها ..)[38]

الدكتور جواد علي يضيف قائلاً: (ومن الصعوبة بمكان تحديد الشعر الذي قاله أمية قبل البعثة وإبانها حتى السنة التاسعة للهجرة، ويصبح هذا الافتراض باطلاً)[39]

تأثر القــرآن بشعر أمية : هذا الافتراض يرفضه المفسرون، إذ لو كان صحيحًا لما سكتت عنه قريش، التي اتهمت النبي ﷺ بالاستقاء من غلام نصراني، ورد القرآن على ذلك بقوله: (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين)[40]

الاعتماد على مصدر ثالث (التوراة والإنجيل)

يرد الدكتور جواد علي بأن هذا النوع من التشابه لا يدل على استقلال المصدر، (هو من قبيل ما يحدث من اعتماد أحد الشخصين على الآخر، بدليل ورود أمور في القرآن لم ترد في التوراة، والإنجيل ولكنها وردت في شعر أمية ويضاف إلى ذلك تلك الشكوك التي تحوم حول صحة شعر أمية ذاته ...)41

نقد طه حسين للمستشرق كليمان هوار : يرى الدكتور طه حسين أن المستشرقين يشككون في صحة السيرة النبوية، ويعتبرونها مجرد أخبار تحتاج إلى تحقيق (إن هذا المستشرق وأمثاله يشكون في صحة السيرة نفسها ويتجاوز بعضهم الشك إلى الجحود، فلا يرون في السيرة مصدراً تاريخياً صحيحاً، وإنما هي حسب قولهم – طائفة من الأخبار والأحاديث تحتاج إلى التحقيق والبحث العلمي الدقيقين، فكيف يقفون من شعر أمية موقف المستيقن المطمئن)42

الإسلام وموقفه من الأديان السابقة : الإسلام لم ينكر الأديان السماوية السابقة، بل اعتبرها رسالات من عند الله، لكنها تعرضت للتحريف، كما في قوله تعالى: إن كل ما أروده بعض المستشرقين يتجاهل الحقيقة بأن الإسلام لم يرفض، أو ينكر الأديان السابقة مثل المسيحية، واليهودية، بل اعتبرها أدياناً سماوية، لكنها شوهت، وحرفت قال تعالى: ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه)43

التفسير العلمي للظاهرة : يوضح الدكتور صلاح الجابري أن وجود تشابه بين ظاهرتين لا يعني أن إحداهما سبب في الأخرى، بل قد يكون كلاهما ناتجًا عن طرف ثالث، مما يجعل التشابه السطحي غير كافٍ للجزم بعلاقة سببية

حسب المنهج العلمي قائلاً: (إذا حدثت الظاهرة (أ) سبباً لوجود (ب) فربما كان كل من (أ) و (ب) معلولان معاً لطرف ثالث (ت) لذلك تكون وجود تشابه سطحي بين ما جاء في القرآن، وبعض ما جاء في التوراة، والإنجيل لا يعني أن الإسلام نتيجة مشتقة كلياً من المسيحية واليهودية)44

في المطلب السابق، تناولنا تصورات المستشرقين حول أصل كلمة "قرآن"، ومن أبرز من تناول هذا الموضوع المستشرق الألماني تيودور نولدكه، الذي حاول تحليل القرآن من منظور تاريخي ولغوي، وادعى أن بعض ألفاظه ومضامينه مستمدة من مصادر غير عربية.

وقد رد عليه العلماء المسلمون بأن كلمة "قرآن" عربية أصيلة، وأن استخدام عبارة "هذا القرآن" في النص القرآني يدل على وضوح الهوية الذاتية للكتاب منذ بداية الوحي، كما أكد ذلك الإمام الشافعي والسيوطي والقرطبي.

وبذلك يتضح أن نولدكه، وغيره من المستشرقين، قد وقعوا في مغالطات منهجية، سواء في تحليل المفردات أو في الربط بين القرآن ومصادر أخرى، دون أدلة علمية قاطعة.

يتبين من خلال عرض المبحثين أن الفكر الاستشراقي، رغم ما فيه من اجتهادات بحثية، قد شابه كثير من التحيزات والتصورات الخاطئة، خاصة فيما يتعلق بأصل القرآن الكريم ومصادره. وقد تصدى العلماء المسلمون لهذه الطروحات بردود علمية دقيقة، كشفت عن ضعف الأسس التي بنيت عليها تلك الادعاءات، وأكدت أن القرآن الكريم هو وحي إلهي خالص، لا يمكن أن يكون نتاجًا لمؤثرات خارجية أو اقتباسات بشرية.

إن الدّفاع عن القرآن الكريم لا يقوم فقط على الإيمان، بل على منهج علمي رصين، يجمع بين التحقيق التاريخي، والتحليل اللغوي، والنقد الموضوعي، مما يجعل من الردود الإسلامية على المستشرقين.

المبحث الثانـــــي ـ تيودور نولدكه نموذجاً :

شهدت الدّراسات الاستشراقية اهتمامًا بالغًا بالنص القرآني، حيث سعى عدد من الباحثين الغربيين إلى تحليل القرآن الكريم من زوايا لغوية وتاريخية ونقدية، غالبًا ما اتسمت بطرح تساؤلات حول مصدره، وترتيبه، وبنيته النصية. ومن بين هؤلاء المستشرقين، يبرز اسم تيودور نولدكه، الذي يُعد من أبرز من تناول القرآن الكريم في الغرب، وترك أثرًا بالغًا في مسار البحث الاستشراقي ، ويأتي هذا المبحث ليتناول نولدكه كنموذج للفكر الاستشراقي، من خلال عرض سيرته الأكاديمية، وتحليل منهجه في دراسة القرآن الكريم، ثم تقييم أطروحاته ومناقشتها علميًا في ضوء المعطيات الإسلامية والمصادر التراثية، وذلك بهدف الكشف عن طبيعة هذا الفكر، ومواطن القوة والضعف فيه، ومدى تأثيره على الدراسات الغربية المعاصرة حول القرآن الكريم.

نولدكه ومنهجه في دراســـــة القـــــرآن: يُعتبر تيودور نولدكه شيخ المستشرقين الألمان، وقد أسس مدرسة استشراقية متميزة من خلال كتابه الشهير "تأريخ القرآن"، الذي يُعد من أهم المراجع في الدراسات القرآنية في أوروبا، بل ويُعد مرجعًا أساسيًا لدى عدد من الباحثين العرب والمسلمين، الذين تبنوا منهجه في دراسة النص القرآني، وروّجوا له بوصفه نموذجًا علميًا. نولدكه هو زعيم مدرسة النقد التاريخي، وقد وجّه اهتمامه إلى دراسة ترتيب سور القرآن الكريم، ومصادره، وظروف جمعه، مما أدى إلى نشوء فرع مستقل في المؤسسات التنصيرية والتبشيرية يُعنى بمصادر القرآن ،

ويقول الدكتور عمر رضوان: (وقد حرص الباحثون الغربيون في هذا المجال إلى إرجاع كل كبيرة وصغيرة في القرآن إلى مصدر سابق سواء أكان دينياً أم غير ديني)45، ويؤكد الدكتور جورج تامر، الذي نقل كتاب نولدكه إلى العربية أن: تاريخ القرآن وهو من أهم وأوسع ما صدر في القرآن العشرين من كتب باللغة الألمانية)46

تأثير نولدكه على المستشرقين: عالج نولدكه في كتابه مسألة نشوء النص القرآني، وجمعه، وتدوينه، كما ناقش موضوعًا بالغ الأهمية، وهو التسلسل التاريخي للسور القرآنية، "وقد اعتمد على أبحاثه عدد من المستشرقين، منهم فريدرش شفالي، الذي أعاد صياغة الجزء الأول من الكتاب عام 1919م، مستندًا إلى ما كتبه نولدكه "47

إن مدرسة نولدكه تركت بصمات واضحة على طريقة تناول النص القرآني في الغرب، وأسهمت في تشكيل تصورات نقدية حوله، تبناها عدد من الباحثين الذين استلهموا منهجه، وواصلوا العمل على تطويره، رغم ما فيه من إشكاليات منهجية ومخاطر معرفية.

المطلب الأول ــ سيرته الفكرية وأعمالـــه:

يُعد تيودور نولدكه من أبرز أعلام الاستشراق الألماني في القرن التاسع عشر، (وقد ترك بصمة عميقة في الدراسات القرآنية الغربية من خلال منهجه التاريخي النقدي، الذي تناول به النص القرآني من حيث نشأته، وترتيب سوره، ومصادره. لقد مثّل نولدكه نقطة تحول في مسار البحث الاستشراقي، حيث انتقل بالدراسة من مجرد الترجمة والتفسير إلى التحليل التاريخي والنقد النصي، مما جعله مؤسسًا لمدرسة فكرية استشراقية أثّرت في أجيال من الباحثين الغربيين)48 ، ويهدف هذا المطلب إلى عرض سيرته الفكرية، وأبرز أعماله، مع تسليط الضوء على تلاميذه الذين واصلوا مشروعه العلمي، واستكملوا موسوعته في "تأريخ القرآن"، مما يدل على عمق تأثيره في الحقل الاستشراقي .

ســيرة نولدكه الفكـرية: تيودور نولدكه(1836–1930) ، وُلد في مدينة هاربورغ بألمانيا، وتلقى تعليمه في جامعات غوتنغن، فيينا، برلين، وليدن ، ويتقن: العربية، العبرية، السريانية ، نال الدكتوراه عن أطروحته "تاريخ القرآن" وهو في العشرين من عمره ، عمل أستاذًا للغات السامية في جامعتي كيل وستراسبورغ" 49

أبرز أعمالـــه: تاريخ القرآن: يُعد من أهم المصادر الغربية في دراسة تاريخ القرآن، وهو عمل موسوعي من ثلاثة أجزاء، كبيرة تناول فيها نشأة النص القرآني، وجمعه، وترتيبه، ومصادره ، كذلك قواعد اللغة العربية الفصحى ، بالإضافة إلى الشعر العربي القديم، وقد أثارت أعماله جدلًا واسعًا، لكنها أسست لمدرسة نقدية في

الدراسات الإسلامية، عُرفت باسم "مدرسة نولدكه التاريخية"

أبرز تلاميـــــذه :

فريدريش شـــفالي(1863–1919) : أستاذ للغات السامية، تولى تحرير الجزء الأول من كتاب تاريخ القرآن بعد ضعف بصر نولدكه، وأضاف إليه إضافات مهمة"50 شغل منصبًا أكاديميًا في جامعة هايدلبرغ، وكان له تأثير في الدراسات الإسلامية في ألمانيا

كارل بروكلمان:(1868–1956) : تتلمذ على يد نولدكه، واهتم باللغات السامية والعربية صاحب كتاب "تاريخ الأدب العربي"، الذي يُعد من أهم أدوات الفهرسة للتراث العربي (كارل بروكلمان (1868–1956): مستشرق ألماني، يُعد من أعظم المستشرقين الألمان في القرن العشرين. تتلمذ على يد نولدكه، واهتم باللغات السامية والعربية، وله مؤلفات مرجعية مثل تاريخ الأدب العربي الذي يُعد من أهم أدوات الفهرسة للتراث العربي)51

أوتو برتزل(1893–1941) من أبرز المستشرقين الألمان في مجال القراءات القرآنية (تولى تحرير الجزء الثالث من كتاب "تأريخ القرآن" بعد وفاة برجشتريسر، ونشره عام 1937 ، واهتم بجمع وتحقيق المخطوطات القرآنية، وساهم في تطوير الدراسات النصية للقرآن الكريم)52

أثـــــر نولدكه في الفكر الاستشراقـــــي:

إن التأثير الفكري لنولدكه كان كبيرًا جدًا، بدليل أن تلاميذه أكملوا موسوعته في "تأريخ القرآن" من بعده، واعتمدوا على أدواته البحثية، كما استفادوا من سمعته الأكاديمية وشهرته العلمية، مما جعل منه مرجعًا مركزيًا في الدراسات القرآنية الغربية يمثل هذا العرض لسيرة نولدكه وأعماله مدخلًا ضروريًا لفهم منهجه في دراسة القرآن الكريم، والذي سنتناوله في المطلب الثاني من خلال تحليل أطروحاته النقدية، وتقييمها في ضوء المعطيات الإسلامية والمصادر التراثية. فالمعرفة بسيرته الفكرية وتلاميذه تتيح لنا فهم السياق الذي نشأت فيه مدرسته، وتساعدنا على تفكيك بنيتها المنهجية، واستيعاب دوافعها وأهدافها، وهو ما سيكون محورًا رئيسيًا في المطلب التالي.

المطلب الثانـــــي ـ منهج ثيودور نولدكه في كتابه : تاريخ القرآن:

يُعد كتاب "تاريخ القرآن" للمستشرق الألماني ثيودور نولدكه من أبرز النماذج الاستشراقية التي وظّفت المنهج التاريخي والفيلولوجي في دراسة النص القرآني. وقد حظي هذا الكتاب باهتمام واسع في الأوساط الأكاديمية، لما يتضمنه من محاولة لفهم

القرآن الكريم ضمن سياقه التاريخي والثقافي، بعيدًا عن المنظور الإيماني التقليدي. ويُعد نولدكه من أوائل من سعوا إلى دراسة القرآن بوصفه نصًا تطوّريًا، متأثرًا بالظروف السياسية والاجتماعية التي أحاطت بنزوله وجمعه وتدوينه

ملامح المنهـــــج:

ـ اعتمد نولدكه في دراسته على المنهج التاريخي النقدي، حيث سعى إلى تحليل النص القرآني من خلال تتبع تطوره الزمني، ومراحله المختلفة، وذلك عبر.

ـ دراســـــة شخصية النبي محمد ﷺ من منظور إنساني، بعيدًا عن الرسالة السماوية، مع التركيز على البيئة الاجتماعية والسياسية والثقافية التي نشأ فيها

ـ تحليل السياق التاريخي لنزول الآيات والسور، وربطها بالأحداث التي وقعت في تلك الحقبة

ـ تتبع مراحل جمع القرآن الكريم وتدوينه، خاصة في عهد الخلفاء الراشدين، مع محاولة الكشف عن الآليات التي تم بها توحيد النص القرآني.

ـ الاعتماد على المخطوطات والنصوص القديمة لتحديد ما يراه تغييرات طفيفة طرأت على النص عبر الزمن.

وقد قسّم نولدكه كتابه إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

القسم	المحتوى
أصل القرآن	تناول فيه كيفية نزول الوحي على النبي ﷺ، وظروف تلقيه للرسالة .
جمع القرآن	اقش فيه مراحل جمع القرآن وتوحيده في مصحف واحد
التغييرات النصية	استعرض فيه ما يراه تغييرات طفيفة في النص القرآني عبر العصور

وتشير الدكتورة رغد محمد أديب إلى أن نولدكه اعتمد (على المنهج التاريخي النقدي، وسعى إلى دراسة النص القرآني من منظور تطوّري، يركّز على البنية الزمنية والسياقية للآيات والسور)53.

نقد المنهج:

رغم القيمة العلمية التي يحملها منهج نولدكه في دراسة تاريخ القرآن، إلا أن منهجه يواجه عدة انتقادات، أبرزها:

ـ تجاهله البعد الإيماني والروحي للنص القرآني، وتعاملُه معه كنص بشري خالص

ـ اعتماده على مصادر غير إسلامية، وبعضها مشكوك في دقته التاريخية

ـ إغفاله للمنهج التوثيقي الإسلامي في جمع القرآن، الذي يتميز بالدقة والانضباط

يمثل منهج نولدكه في كتابه "تاريخ القرآن" نموذجًا استشرافيا مهمًا في دراسة النصوص الدينية من منظور تاريخي نقدي. ورغم ما يثيره من جدل، فإنه يفتح المجال

لفهم أعمق لتاريخ النص القرآني، ويحفّز الباحثين المسلمين على تطوير مناهجهم النقدية، بما يوازن بين الإيمان والعقل، وبين التراث والمعاصرة ، ورغم القيمة العلمية التي يحملها منهج نولدكه في دراسة تاريخ القرآن، إلا أن منهجه يواجه عدة انتقادات، أبرزها:

ـ تجاهله البعد الإيماني والروحي للنص القرآني، وتعاملُه معه كنص بشري خالص.

ـ اعتماده على مصادر غير إسلامية، وبعضها مشكوك في دقته التاريخية.

ـ إغفاله للمنهج التوثيقي الإسلامي في جمع القرآن، الذي يتميز بالدقة والانضباط.

يمثل منهج نولدكه في كتابه "تاريخ القرآن" نموذجًا استشراقيًا مهمًا في دراسة النصوص الدينية من منظور تاريخي نقدي. ورغم ما يثيره من جدل، فإنه يفتح المجال لفهم أعمق لتاريخ النص القرآني، ويحفّز الباحثين المسلمين على تطوير مناهجهم النقدية، بما يوازن بين الإيمان والعقل، وبين التراث والمعاصرة.

المطلب ـ دراسة نقدية لأطروحات ثيودور نولدكه في كتابه "تاريخ القرآن :

يمثل كتاب تاريخ القرآن لثيودور نولدكه أحد أبـــرز الأعمال الاستشراقية التي تناولت النص القرآنـــي من منظور تاريخي نقدي، ورغم ما يحمله من طابع علمي ومنهجي، فإن أطروحاته أثارت جدلاً واسعًا في الأوساط الإسلامية والعلمية، لما تتضمنه من رؤى تتقاطـــع مع المعتقدات الدينية، وتطـــرح تساؤلات حول مصادر النص القرآني وتطوره.

أولًا ـ نقد المنطلقات الفكريـــــــة:

ـ " تعامل مع القرآن كنص تاريخي يخضع للتطور، فدرس ترتيب السور حسب النزول، وقسّمها إلى مراحل مكية أولى، مكية وسطى، مكية متأخرة، مدنية)54

ـ الرؤية المادية للنص القرآني: انطلق نولدكه من تصور يرى القرآن نصًا بشريًا خاضعًا للتطور التاريخي، متأثرًا بالبيئة والظروف السياسية والاجتماعية، متجاهلًا البعد الإلهي الذي يُعد جوهر العقيدة الإسلامية.

ـ إقصاء البعد الغيبي : " تجاهل نولدكه مفهوم الوحي كعملية ربانية، وتعامل مع النبي محمد ﷺ كشخصية تاريخية مجردة، مما أدى إلى اختزال الرسالة في سياقات بشرية فقط)55.

ثانيًا ـ نقد المنهجية العلمية:

الاعتماد على مصادر غير موثقة: استند نولدكه في كثير من تحليلاته إلى روايات غير معتمدة في علم الحديث، وبعضها من مصادر مشكوك في صحتها، مما يضعف البناء الاستدلالي لأطروحاته.

إغفال المنهج الإسلامي في التوثيق: لم يُعطِ نولدكه أهمية كافية للمنهج الإسلامي في جمع القرآن، الذي يتميز بالدقة العالية في النقل والتوثيق، من خلال السند والرواية المتواترة.

الخلط بين الفيلولوجيا والتاريخ: رغم توظيفه للمنهج الفيلولوجي، إلا أن نولدكه خلط بين التحليل اللغوي والتأريخ، مما أدى إلى استنتاجات غير دقيقة حول ترتيب السور وتطور النص.

ثالثًا ـ نقد النتائج والاستنتاجات:

الادعاء بوجود تغييرات نصية: يرى نولدكه أن هناك تغييرات طفيفة طرأت على النص القرآني، وهو ادعاء لا تدعمه الأدلة التاريخية أو المخطوطات القرآنية المعتمدة، التي تثبت ثبات النص منذ جمعه في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

التقسيم الزمني للسور: اعتمد نولدكه على تقسيم السور إلى مكية ومدنية بناءً على أسلوبها ومضمونها، وهو تقسيم لا يخلو من التبسيط، ولا يراعي التعقيد الزمني والموضوعي في الوحي.

تكشف الدراسة النقدية لأطروحات نولدكه عن فجوة منهجية ومعرفية بين المنظور الاستشراقي والمنهج الإسلامي في دراسة النص القرآني. فرغم ما يحمله كتابه من قيمة بحثية في مجال الدراسات المقارنة، إلا أن أطروحاته تفتقر إلى التوازن بين التحليل التاريخي والاحترام للخصوصية الدينية للنص. ومن هنا، تبرز الحاجة إلى تطوير دراسات قرآنية تجمع بين العمق العلمي والانتماء الإيماني، وتُسهم في بناء خطاب معرفي متزن في مواجهة الطروحات الاستشراقية.

إنّه يفتح الباب أمام القول بتحريف القرآن ونقصانه كما في فصل " الوحي الذي نزل على محمّد ولم يحفظ في القرآن" ومما نُقل عنه: (إنّه ممّا لا شكّ فيه أنّ هناك فقرات من القرآن قد ضاعت). أو يقول: (القرآن غير كامل الأجزاء).

أنه يصف أسلوب القرآن الكريم باعتباره أسلوبًا قصصيًّا ينقصه التسلسل في طريقة الأخبار والسير ويرى في قصصه انقطاعًا، وانتقد في القرآن الكريم تكرير بعض الألفاظ أو العبارات تكريرًا لا مسوغ له، وقد صرّح بأكثر من هذا في مقاله: عيوب الأسلوب القرآني، وأنّه استعار من الكهان ومن غيرهم استعمال الجمل القصيرة المسجوعة في الخطاب" 56

رودود بعض العلماء الدكتور مصطفى صبري يوضح لنا موقفهم فيقول: (إن المستشرقين أمثال نولدكه ينظرون إلى القرآن نظر الباحث في الوثائق التاريخية،

متجاهلين أنه كلام الله المنزل، وهذا خطأ منهجي يفضي إلى نتائج باطلة) 57 ، ويقول الدكتور عبد الله الدرازي :" إن محاولة نولدكه ترتيب السور بحسب اجتهاده اللغوي لا قيمة لها أمام التواتر القطعي الذي نقل إلينا القرآن كما هو، محفوظاً من التحريف" 58

الخاتمـــــة:

أولًا ـ النتائج:

خلص هذا البحث إلى جملة من النتائج المهمة التي تسهم في فهم أعمق لموقف الاستشراق من مصادر القرآن الكريم، من خلال دراسة نموذج المستشرق الألماني تيودور نولدكه، ومن أبرز هذه النتائج:

يُعد نولدكه من أوائل المستشرقين الذين وظّفوا المنهج التاريخي والفيلولوجي في دراسة النص القرآني، وقد شكّل كتابه تاريخ القرآن مرجعًا تأسيسيًا في الدراسات الاستشراقية.

ـ اعتمد نولدكه على رؤية تطورية للنص القرآني، حيث تعامل معه كنص بشري خاضع للتأثيرات التاريخية والاجتماعية، متجاهلًا البعد الإلهي للوحي.

ـ أظهرت تحليلاته تأثرًا واضحًا بالمناهج الغربية في النقد النصي، مع اعتماد جزئي على مصادر إسلامية، غالبًا ما تم توظيفها خارج سياقها العقدي والمنهجي.

ـ كشفت الدراسة عن وجود فجوة معرفية ومنهجية بين الطرح الاستشراقي ومنهجية علماء المسلمين في توثيق وجمع القرآن الكريم، خاصة فيما يتعلق بمصداقية الروايات وتواتر النص.

ثانيًا ـ التوصيات:

بناءً على ما سبق، يوصي البحث بما يلي:

ضرورة تطوير دراسات قرآنية معاصرة تتبنى أدوات البحث العلمي الحديثة دون التفريط في الثوابت العقدية والمنهجية الإسلامية.

تشجيع الباحثين في العالم الإسلامي على دراسة الأطروحات الاستشراقية بوعي نقدي، يوازن بين الفهم العميق للمناهج الغربية والتمسك بالمنهج الإسلامي الأصيل.

تعزيز الترجمة والتحقيق العلمي للنصوص الاستشراقية المتعلقة بالقرآن الكريم، مع تقديم ردود علمية رصينة تُبرز أوجه القصور المنهجي والمعرفي فيها.

دعم مراكز البحث والدراسات الإسلامية في بناء قواعد بيانات علمية متخصصة ترصد وتقيّم الإنتاج الاستشراقي حول القرآن الكريم.

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامـــــــــــش :

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1 - العقيدة والشريعة في الإسلام، جولد يهر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ترجمة محمد موسى يوسف، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى، بيروت، 1983م.

2 - المستشرقون والإسلام، للدكتور إبراهيم اللبان. مجمع البحوث جامعة الأزهر، الطبعة الأولى، القاهرة 1970م .

3 - الشهاب الراصد" في نقد كتاب في الشعر الجاهلي، محمد الخضر حسين، (مؤسسة هنداوي، طبعة حديثة الإلكترونية، القاهرة، 2014م.

4 - مصادر الإسلام، للمستشرق تسدال، ترجمة دار النقاش.، الطبعة الأولى، بيروت، 1980م.

5 - – المستشرقون، نجيب عقيقي، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1980م.

6– نقد الخطاب الاستشراقي: الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ساسي الحاج، دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، 2002م

7 - الدب المفرد، البخاري، تحقيق بشير علوان، دار المشاريع، الطبعة الثانية، بيروت، 2021م.

8 - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي،دار العلم للملايين ، البعة الأولى ، بيروت ، 1993م.

9 - تاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب (اليعقوبي)،دار صادر ، الطبعة الأولى ، بيروت ، 1960م

10 - أجنحة المكر الثلاثة: الاستشراق، التنصير، الاستعمار للدكتور عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، الطبعة الأولى، دمشق، 1985م.

11 - قاموس المورد: قاموس إنكليزي – عربي، روحي بعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة، بيروت ،2007م

12 - الاستشراق والمستشرقون: ما لهم وما عليهم، عبد الوهاب حمودة، ص 15، دار المعارف، القاهرة.

13 - الاستشراق في الأدبيات العربية: عرض ونقد، الدكتور علي بن إبراهيم النملة، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الطبعة الأولى ،الرياض ، 1993م.

14 - الاستشراق والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا (بالألمانية، ردي بارت، ص 20، دار النهضة العربية – بيروت (ترجمة إلى العربية)

15 - فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمايلوفتش، ص، دار المعارف – القاهرة سنة 1980،

16 - كتاب الاستشراق، لإدوارد سعيد، ترجمة محمد عناني، مؤسسة هنداوي، الطبعة الأولى، القاهرة، 2014م.

17 – الاستشراق والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا (بالألمانية، ردي بارت، ص 20، دار النهضة العربية – بيروت (ترجمة إلى العربية).
18- القرآن الكريم، بلاشير ، ترجمة : رضا سعادة ، ص23 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1974م
19 - مباحث في القرآن، صبحي الصالح، ص200 دار الملايين، الطبعة الحادية عشرة، بيروت، 1979م
20 - لسان العرب لابن منظور، دار صادر، الطبعة الثالثة، بيروت، 1414هـ.
21 - الإتقان في علوم القرآن ؟، للسيوطي، مطبعة الحلبي ، القاهرة ،1951م
22 - البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم،دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، 1980م.
23 - القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي ، د ، محمد أبوليلة ، ، دار النشر للجامعات ، الطبعة الأولى ، مصر ، 2002م
24 - الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، بيروت، 1994م.
25 - مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، دار المعرفة الطبعة الأولى(بيروت) 1992م
26 - في الأدب الجاهلي، طه حسين، دار المعارف، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1978م
27 - تفكيك الاستشراق، الدكتور صلاح الجابر، ص178، المركز العالمي لدراسات الكتاب الأخضر، دار الكتب الوطنية، بنغازي ط1، 2005م.
28 - آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، عمر بن إبراهيم رضوان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الرياض، 1992م.
29 - تاريخ القرآن، تيودور نولدكه ، منشورات الجمل ، ط4 ، كولونيا ألمانيا ، 2008م
30 - مدرسة نولدكه وتداعياتها على دراسة النص القرآني، رغد اء محمد أديب، مركز التفسير للدراسات القرآنية، الطبعة الأولى، الرياض،2021ا م.
31 - موسوعة المستشرقين، عبدالحمن بدوي، دار العلم للملايين، ط3، بيروت، 1993م
32 - موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، مصطفى صبري، دار التراث العربي ، الطبعة الأولى ، بيروت ،1981م.
33 - النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد عبد الله دراز، دار القلم، الطبعة الأولى، القاهرة، 2005م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1- The Koran, commonly called the Alcoran of Mohammed George Sale) Preliminary Discourse ص 47–48 في الترجمة العربية التي نقلها الدكتور اللبان.
2 - PROLEME DEMAHOMET REGIS BLASHERE p60ParisFrance Balevard Saint1640

الشبكة العنكبوتية:

بحوث وقراءات نقدية في كتاب تاريخ القرآن تيودور نولد ص1، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية،https://www.iicss.iq/?id=3523

الدوريات:

مجلة واسط للعلوم الإنسانية: دراسة بعنوان جهود ثيودور نولدكه في دراسة تاريخ القرآن: قراءة تحليلية في منهجه ومعطياته، تناقش دوافعه الفكرية ومنهجه النقدي (المجلد 21، العدد 4، 2025،